تعريفُ مفهومِ الصورةِ البلاغيّةِ عند بعض النقاد العرب القدامى والمُحْدثين

فراس طركي الأحمد طالب دكتوراه
قسم اللغة العربية تخصص نقد وبلاغة – جامعة البعث – حمص – سورية

الملخص:

الصورةُ البلاغيةُ كانت وما زالت محطَّ إعجاب النقاد القدامى والمحدثين، ومصطلح الصورة حديث نسبياً إذْ أخذ النقاد يطلقون هذا المصطلح أخريات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وهذا لا يعني جهل النقاد القدامى بالمصطلح، بل جعلوه العنصر الأهم في بناء القصيدة، فتناولوها بالدِّرسِ والتقييم وإطلاق الأحكام عليها، واختلفْ اتجاهات النقاد في تعريفها وبيان حدِّها، فكانت لها مسميات كثيرة منها: الصورة البيانية، والصورة الفنيّة، والصورة الأدبية، لكنَّ اصطلاح البحث على الصورة البلاغية أدقُّ وأشملُ وأبينُ، لذلك وجد البحث أغلب النقاد – ولاسيما القدامى منهم– قد اصطلحوا على تسمية الصورة البلاغية.

الكلمات مفتاحية: الصورة – التصوير – الصورة البلاغية – القدامى – المحدثين.

Summary:

The rhetorical picture was and still is admired by old critics and speakers, and the term image is relatively recent as critics began to call this term the last of the nineteenth century and the beginnings of the twentieth century. On it, the attitudes of critics differed in its definition and the definition of its limit, so it had many names, including: the graphic image, the artistic image, and the literary image, but the term search on the rhetorical picture is more accurate, comprehensive and clear, so the research found most of the critics - especially the old ones - had termed the name of the image Rhetoric.

Key words: photo - photography - rhetoric - old - modern.

تختلفُ تعريفاتُ الصورةِ البلاغيةِ باختلافِ اتجاهاتِ المدارسِ النقديةِ، لأنَّ طبيعة الفنون تكره القيود، فقد تعني الصورةُ البلاغيّةُ الاستعمال الفنّي للغة المجازية للتعبير عن المعنى, وهذا ما تعارف عليه البلاغيّون وسمّوه علم البيان من استعارة وتشبيه وتمثيل وكناية، وقد يدلُّ مفهوم الصُّورة على وصف تجربة ما تصوّرُ موقفاً إنسانيّاً لحظة قول الشعر، وقد تعني الصورةُ الشكل الخارجي أو القالب للمعاني، وانطلاقاً من أهميّة الصورة البلاغية في الشعر والنقد سوف نأتي على بعض تعريفاتها باختصار عند البلاغيين القدامى.

الصورة لغةً:

لعلّ أوّلَ طريقٍ نسلكهُ لتعرّف مصطلح ما, هو البحث في أصل اشتقاقهِ واستعماله اللّغويّ ومعانيه التي أُنشئ منها حتى وصل إلى معناه الاصطلاحيّ لدى النقاد ودارسي الأدب.

ومفهوم التصوير لغويّاً جاءت على ذكره المعاجمُ اللغويّةُ في مادة (ص و ر), يقول ابن فارس(ت395ه):الصاد والواو والراء, كلمات كثيرةٌ متباينةُ الأصولِ, من ذلك الصُّورة صُورة كلِّ مخلوق، والجمع صُوَر، وهي هيئةُ خِلْقته[1], ويقول ابن سيده(ت458ه): «الصَّورةُ الشّكلُ»[2], وعند ابن منظور(ت711ه): و تَصَوَّرْتُ الشيءَ: توهمت صورتَه فتصوَّر لي, والتَّصاوِيرُ: التَّماثيلُ, والصورة تَرِدُ في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقةِ الشيء وهيئته وعلى معنى صِفَتِه[3], وفي تاج العروس, لمرتضى الزَّبيدي(1205ه): الصورة الوجه, وتصوَّرتُ الشيءَ توهمّتُ صورتَهُ فتصوَّر لي[4], وفي المعجم الوسيط: صوّره, جعل له صورة مجسمة,والصورة: الشكل والتمثال المجسم وصورة المسألة أو الأمر صفتها ونوعه, يقال هذا الأمر على ثلاث صور, وصورة الشيء ماهيته المجردة وخياله في الذهن أو العقل, وتصوّر الشيء أو الشخص رسمه على الورق أو الحائط ونحوهما بالقلم, والأمر وصفه وصفاً يكشف عن جزئياته, وتصوّر تكونت له صورةٌ وشكلٌ, والشيء تخيله واستحضر صورته في ذهنه.[5]

كما جاء ذكر لفظ الصورة والتصوير في القرآن الكريم في أكثر من موضع, لقوله تعالى: "وصوّركم فأحسن صوركم"غافر: ٦٤, وقوله:"وصورّكم فأحسن صوركم وإليه المصير" التغابن: ٣, وقوله تعالى:" في أي صورة ما شاء ركّبك" الانفطار:٨ وقوله تعالى: "هو الله الخالق البارئ المصوّر" الحشر: ٢٤, تدلُّ معاني هذا الأصل اللغوي في القرآن الكريم حول التشكيل والشكل وخَلْق هيئة وصفة معيّنة, أي أحسنَ أشكالكم, ومثّلكم فأحسن أمثالكم, وخلقكم على شكل حسن مستقيم تامّ معتدل حسنِ المنظر والهيئة.[6]

كما أنّ من أسماء الله الحُسنى سبحانه(المصوِّرُ), وهو الذي صور جميع الموجودات ورتّبها فأعطى كلَّ شيء صورة خاصة وهيئة منفردة بها على اختلافها وكثرتها.[7]

وقد ورد ذكر الصورة في حيث الرسول الكريم –صلى الله عليهوسلم–, قوله: «أتاني ربي في أحسن صورة»[8].

هكذا يتبيّن أنّ معاني هذه الألفاظ تدلّ في أصل معناها اللُّغوي على الشكل والهيئة والكيفية والصفة والنوع,فصورة الشيء خياله في الذهن أو العقل.

الصورة في الاصطلاح

لا يمكن إدراك معنى الصورة البلاغيّة قبل أنّ نتأملَ في معنى الصورة بشيء من الاختصار عند علماء البلاغة القدماء, وتطّور هذه المصطلح عبر الزمن.

معنى الصورة عند علماء البلاغة القدماء:

من أوائل الذين تحدَّثوا عن الصورة**الجاحظ**(ت255ه), في تعريفه للشعر بأنَّه: «صناعةٌ وضَرْب من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير»[9], فالجاحظ يقصد التصوير اللفظي للمعاني, فهو كان يدافع عن أهمية الشكل إزاء المضمون, وبهذا يتضح أنّه يقصد بالتصوير, صياغة الألفاظ صياغة حاذقة تهدف إلى تقديم المعنى تقديماً حسيّاً وتشكيله على نحو صوري وتصويري.[10]

كما جاء على ذكر الصورة **قدامة بن جعفر**(ت327ه), فاستعملها نصّاً وعدّها

الهيكل والشكل لما يقابل المادة والمضمون, فقال:«إذ كانت المعاني بمنزلة المادة الموضوعة، والشعر فيها كالصورة، كما يوجد في كل صناعة من أنه لا بد فيها من شيء موضوع يقبل تأثير الصور منها»[11], فجعل للصورة في الذهن شكلاً وإطاراً خارجياً.

أمّا**الباقلّاني**(ت403هـ), فقد جاء على ذكر الصورة بقوله:«لكل شيء طريق يتوصل إليه به وباب يؤخذ نحوه فيه ووجه يؤتى منه, ومعرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت لك وأغمض وأدق وألطف, وتصوير ما في النفس وتشكيل ما في القلب حتى تعلمه وكأنك مشاهده, وإن كان قد يقع بالإشارة ويحصل بالدلالة والأمارة كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح»[12], فمن المعاني اللطيفة التي تحتاج إلى تمثيل وتصوير, حتّى تسقرّ في النفس وذلك بتحصيل صورتها.

والصورة عند الإمام **عبد القاهر الجرجانيّ**(ت471هـ), أكثر تحديدًا، إذْ جعل الصورة تمثيلاً وقياساً إذْ يقول:«اعلم أنّ قولنا الصورة، إنما هو تمثيلٌ وقياسٌ لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس، تكون من جهة الصُّورة فكان تبيُّن إنسان من إنسان وفرس من فرس، بخصوصيَّة تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك وكذلك كان الأمر في المصنوعات، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقًا عبّرْنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأنْ قلنا للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك, وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئاً نحن ابتدأناه، فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء, ويكفيك قول الجاحظ: وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير».[13]

فالصورة عند الجرجاني هي الصياغة الفنيّة للمعنى, أو هي نظم الكلمات داخل سياق لغوي متفاعل, وبذلك ارتبطت الصورة البلاغية عنده بالنظم من حيث الفهم الاصطلاحي, فالصورة داخل السياق يُقصد بها الصورة المتمثلة في التشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل, وهو في موضع آخر يتحدّث عن تصوير المعاني بقوله: «ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى

الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه»[14], يتضح في نصّه هذا أنّنا إزاء مصطلح التصوير الذي أداره الجاحظ قبله.

فهو يرمي من خلال هذا القول إلى أنه من أنصار الصياغة الدالة على المعنى, فالصورة هنا وفي كتابه دلائل الإعجاز تعني الصياغة, فحيثما ذكر كلمة الصورة فإنّ المقصود بها النظم أو الصياغة, أو ما يحدث من تفاعلات داخل السياق.[15]

فالصورة كما يذكرها عبد القاهر هنا لا تشير إلى مفهوم التقديم الحسيّ للمعنى – وهو أحد وظائفها الأساسية– بقدر ما تشير إلى طريقة النظم أو الصياغة, وتحدد قيمتها الفنية تبعاً للفروق الكائنة بين نظم وآخر, ندركه بعقولنا وإحساسنا وذوقنا[16],وبتصوير الكلام تحصل صورة الشيء في العقل؛ وهذا ما يسمَّى بالتصوُّر.[17]

درس عبدالقاهر الجرجاني مصطلح الصورة بذهنيّة الناقد البلاغي الذّواقة,« وأيّاً ما كان فالصورة عنده تمثيل وقياس تخْلُقه العقولُ من مواد ادّخرت فيها وانتهت إليها على مساحة من الوجود».[18]

تعدّدت وجهات النَّظر في تحديد مصطلح الصورة عند علماء البلاغة القدامى, واختلفت تعبيراتهم في تحديد المراد بها, إلا أنّ مدلولها عنهم لا خلاف فيه, فأبسط دلالة لكلمة الصورة عندهم «وأقربهاإلى الأذهان هو دلالتها على التجسيم، أو على الأشياء القابلة للرُؤْية البصرية»[19], هذا المفهوم هو ما كان عليه علماء البلاغة القدامىفالتَّصوير عندهم يشمل أساليب علم البيان(التشبيه، والمجاز، والكناية)، وكذلك يشمل التَّعبير بالحقيقة أيضاً.

معنى الصورة البلاغيّة في كتب الباحثين في العصر الحديث:

لا تبتعد تعريفات النقّاد والباحثين المعاصرين للصورة كثيراً عمّا قاله القدماء, لكنّ تعريفاتهم لمفهوم الصورة تعدّدتْ بحسب اختلاف التخصصات, وتعددت تعريفاتهم لمصطلحي الصورة والتصوير, ومن الصعب للمتتبع لما كتبه الدارسون عن الصورة, أن يحظى بما يوحد كل تلك الرؤى, فمنأوائل الباحثين الذين تحدّثوا عن الصورة **مصطفى ناصف** إذْ يقول: «تستعمل كلمة الصورة عادة للدلالة على كل ماله صلة بالتعبير الحسيّ, وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري

للكلمات»[20], فهو يقصر الصورة على الدلالات الحسيّة والاستعمال الاستعاري, فيُخرِجُ ما سواهما من الصورة, ومفهوم الصورة أوسع من ذلك.

كما يرى **داوُد سلّوم** في تعريف الصورة الأدبية قائلاً:«إنّ امتزاج المعنى والألفاظ والخيال كلها هو الذي يُسمّى بالصورة الأدبية»[21], إذْ يستوحي تعريفه للصورة من فهمه لتعريف الصورة عند عبدالقاهر الجرجاني, في فكرة النظم بين اللفظ والمعنى.

وبحثها **جابر أحمد عصفور** من خلال التراث البلاغي والنقدي ليستخلص تعريفه لها بقوله: «طريقة خاصة من طرق التعبير, أو وجهٌ من أوجه الدلالة, تنحصر أهميتها فيما تُحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير, ولكن أيّاً كانت هذه الخصوصية, أو ذاك التأثير, فإنّ الصورة لت تغيّر من طبيعة المعنى في ذاته, إنّها لا تغيّر إلا من طريقة عرضه, وكيفية تقديمه»[22], فالصورة عنده تعبير مخصوص عن المعنى الذي لا يتغيّر بذاته من صورة لأخرى.

والصورة عند **عبدالقادر الرباعي:** «أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن»[23], لكنّه في موضع آخر تحدّث عن الانفعال بوصفه عنصراً من عناصر الصورة, وجعل الصور الحسية التي تعبّر عن موقف إنساني عام هي أكثر الصور تأثيراً فنيّاً.[24]

ويَنظر **علي علي صبح** نظرة أخرى للصورة فيراها: «التركيب القائم على الإصابة في التنسيق الفنيّ الحي لوسائل التعبير التي ينتقيها وجود الشاعر –أعني خواطره ومشاعره وعواطفه– المطلق من عالم المحسات, ليكشف عن حقيقة المشهد أو المعنى في إطار قويّ نام محسّ مؤثر على نحو يوقظ الخواطر والمشاعر في الآخرين»[25], فجعل الصورة قائمة في التراكيب الحسيّة التي فيها عنصر الانفعال والإثارة.

ويرى **شفيع السيد** أنّ الصورة: «ذلك التعبير اللغويّ الذي يتخذ نسقاً معيناً يستثير في النفس مدركات حسيّة, مستخدماً في ذلك كل وسائل التأثير في اللغة من عبارات حقيقية وتشبيهات ومجازات وكلمات ذوات جرْس خاصّ»[26], فهو يَعدُّ الصورة كل تعبير لغوي يثير الحسَّ.

ويفصّل **كامل حسن البصير** الصورة بقوله: «ما يتماثل بوساطة الكلام للمتلقي من مدركات حسّاً, ومعقولات فهماً, ومتخيلات تصوّراً, وموهومات تخميناً, وأحاسيس وجداناً, وما إلى ذلك من الأشياء والأمور التي تفضي إليها هذه القوة أو تلك من القوى المركّبة في الإنسان وعياً ومن غير وعي, إنّ الكلام الذي يمثل الصورة على هذا النحو قد يكون كلمة مفردة, وقد يكون جملة مركّبة, وقد يكون فِقرة ممتدّة, وقد يكون نصّاً مؤتلفاً»[27], فتشكيل الصورة عنده قد تكون بالكلمة المفردة كما تكون بالجملة المركّبة, بما يثيره الكلام في حسّ المتلقي من تصوّرات وإدراكات وأحاسيس.

نلاحظ أن معظم التعريفات السابقة للصورة اشترط أصحابها فيها عنصر الحسيّة, بوصفها منطلقة من عالم المحسات, وهذا لا يمكن تطبيقه على جميع الصور, وخصوصاً إنْ أدرجنا الصور النفسية والمعنوية التي تصف مشاعراً وأحاسيساً, وهذا مما يكثر ذكره, وفي القرآن الكريم شيء كثير من هذه الصور[28], لكون النصّ القرآن هو مجال التطبيق عليه في دراستنا التي سنتناولها في الفصول الآتية.

وللباحث **أحمد دهمان** رأي آخر, فالصور ليست حسيّة أو بصرية فقط؛ «لأنها قد تكون بصرية وسمعية ومعنوية ونفسية, إضافة إلى أن الكلمات والعبارات تشكل الصورة إذا كانت مجازية فيجب أن يحقق السياق المعنى المراد حيث يتطلب المعنى الموقف نفسه»[29], و يتابع توضح الصورة في موضع آخر ويراها: «تعبيراً عن نفسية الشاعر ووعاء لإحساسه وفكره, تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري, إذْ تقدم عقدة فكرية وعاطفية في برهة من الزمن وتوحّد بين الأفكار المتفاوتة»[30], تعريف يبيّن عملية تكوين الصورة وخَلْقها عند المبدع.

أمّا **محمد الصادق عفيفي** فيعرّف الصورة بأنّها: «تجسيم للأفكار التجريدية, والخواطر النفسية والمشاهد الطبيعية حسيّة كانت أم خيالية على أساس من المبادئ»[31], فهو تعريف أقرب للجمالية الفنية, إذْ لم يوضّح الوسائل المستخدمة في تجسيم الأفكار والمعاني.

في حين رآها **محمود سليم هياجنة:** «ابنة الخيال الذي يجمع المتضادات, ويصهر المتنافرات في بوتقة واحدة, لِنَقُلْ إنّها تجربة حياتية وإنسانية, بكل ما فيها من أبعاد داخلية وخارجية»[32], فجعل الخيال العنصر الأساس في إبداع الصورة, غير أنّ الأفكار هي التي تحرك الخيال لعملية الخلق الإبداعي.

يعكس هذا التعدّد في التعريفات لمصطلح الصورة عند المعاصرين تنوّع الآراء, واختلاف الرؤى مما يُؤكّد «أنّ مفهوم الصورة ليس من المفهومات البسيطة السريعة التحديد, وإنّما هناك عدد من العوامل تدخل في تحديد طبيعتها كالتجربة والشعور والفكر والمجاز والإدراك الحسيّ, والتشابه والدقة».[33]

إنّ التَّتبُّعَ التاريخيَّ لتطور مصطلح الصورة, يبيّن أنّ الباحثين قد فصّلوا فيه القولَ, وأنّ نظريتهم قد قامت على مفهومين: أحدهما من منظور بلاغيّ قديم يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز والكناية, وتقديم المعنويات عن طريق ربطها بالمحسوسات, وثانيهما: من منظور فنّي جمالي حديث يضمّ إلى الصورة البلاغية نوعين آخرين, هما الصورة الذّهنية, والصورة الرمزية, هذا المفهوم يصور المعاني ويجعل الخيال يرتقي في عالم الموجودات.[34]

هناك مصطلح أخر قريب من مفهوم الصورة عن لم يكن مرادفاً لها في المعنى والدلالة، وهو مصطلح التصوير.

تعريف التصوير:

تطلق كلمة التصوير, في الدراسات الأدبية على معان مختلفة عند الدارسين وتعددت تعبيراتهم في تحديد مصطلح التصوير وكثرت تعريفاتهم بحسب تخصصاتهم, أما التصوير فهو نابع من تصوّر الإمام عبدالقاهر الجرجاني, الذي يرى أنّ المزية في الكلام لا ترجع إلى مجرد معناه, بل إلى كيفية نظم الكلمات لإبرازه للسامع أو القارئ, وشبّه ذلك بعملية صوغ الخاتم, فيقول في ذلك:«ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب، يصاغ منهما خاتم أو سوار»[35], من الواضح أنّه ربط بين التصوير والنظم, كما هي عملية الصياغة.

كما بيّن ذلك ابن الأثير(ت637هـ), بقوله: «أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر إليه عياناً»[36], فالكلام لا يثبت في ذهن المتلقّي ولا يؤدّي الغرض ما لم يكن فيه تصوير وخيال يؤثّر في نفس السامع, والتصوير عند عبدالقاهر الجرجاني ومن جاء بعده, لا يقتصر على الوسائط المعروفة بعلم البيان, بل يشمل كلّ كيفيات صياغة الكلام, ذات الدلالات الحقيقية او المجازية.

من خلال حديث عبدالقاهر الجرجاني وابن الأثير عن التصوير, جاءت تعريفات المعاصرين لمصطلح التصوير, فيرى بعض الباحثين أن التَّصوير نشاط لغوي غير مفارق للتَّركيب، بل إن نشاط عناصر التركيب هو نشاط تصويري[37], وهذه الرؤية هي نفسها رؤية الإمام – عبد القاهر, «فتصوير أي معنى يعني صياغته ونظمه وتشكيله على هيئة مُعيّنة، وهذا المعنى كَثُر ورودُه في دلائل الإعجاز، نظرًا لطبيعة القضيّة الأساسية التي يعالجها الكتاب وهي قضيّة النظم».[38]

والباحث أحمد مطلوب يعرّف التصوير بقوله: «اسْتِحضار صورة الشيء ليكون قريباً أو معروضاً عرضاً فنيّاً بديعاً يوحي بالمعنى ويُؤثّرُ في النفوس»[39], ولعلّ هذا التعريف هو الأقرب إلى فهمنا لمصطلح التصوير الذي سيقوم عليه البحث, وتبنى عليه الدراسة التحليلية لآيات العذاب والنعيم, فالتصوير يُكسبُ المعنى رونقاً وبهاءً, ويجعله أقوى أثراً وتأثيراً, إذ «لا ريب أن هناك فرقاً بين أن تفيض الكلمات بالمعاني والمقاصد, وأن تفيض بها الأحداث والصور, فرق بين ما يدلّ عليه لفظ(الشجاعة), وما تدل عليه صورة(الأسد), ببطشه وإقدامه وبأسه وشدّته, المعاني التي تفيض بها الأحداث والصور أغزر, وأبين, وأمكن, ولا بدّ أن يكون هذا القدر الزائد مقصوداً, وأن لا يكون هناك سبيل إلى الإبانة عنه إلا هذا الطريق».[40]

ودرس الباحث عيد سعيد يونس التصوير فعرّفه بقوله: «عملية إبداع خلّاقة تضفي على الموضوع المُصوَّر ما تملكه الذات المُصوِّرة من خيال مبدع بحيث تمنح له حرية التصرف في شكل الشيء المُصوَّر وأوصافه وملامحه وتفاصيله,

وحرية الإضافة إليها أو الحذف منها, وكذلك حرية التعديل والتغيير وفق إرادة المصور المبدع ومشيئته ورغبته, وبما يتوافق مع أهدافه ويتواءم مع غاياته, شكليّة كانت أم موضوعية, جمالية أم فكرية, مادية أم معنوية,»[41], فإذا أُسقط هذا التعريف على التعبير القرآني, أعطى لخيال القارئ حرية التصوّر والغوص في رسم تفاصيل بعض المواقف والأمور, مع تجنّب التأويل فيما يجب التسليم به من الحقائق الإلهيّة.

كانت هذه بعض الآراء في فهم مصطلحي الصورة والتصوير, والتعريفات كثيرة لم يذكر البحث منها إلا غيضاً من فيض, وهي مع هذا تتفق في أمور وتختلف في أمور.

فالبلاغيون والنقاد القدامى لم يخرجوا في تعريفهم للصورة عن الإطار اللغويّ,لأنّ كل مصطلح مهما كان عريقاً في القدم فإنه لا يأخذ من قدمه هذا صيغة نهائية، ولا بد له من الصقل والتطوير والتهذيب, باستثناء عبدالقاهر الجرجاني, الذي أعطى للصورة دلالة اصطلاحية. [42]

أمّا نظرة النقاد المحدثين لمصطلح الصورة, «قد بدا متأرجحاً بين مداليل لا التقاء بين أكثرها وقد يتخلل تعبيرها الغموض وعدم التحديد، وألفاظها وإن كانت لا تخلو من طرافة ونعومة إلا أنها عاجزة عن تحديد المصطلح تحديداً علمياً»[43]، على الرغم من أنّ تعريفاتهم لم تخلُ من توظيف المصطلحات.

بعد استعراض أبرز ما قاله الباحثون في فهم مصطلح الصورة البلاغية, يمكن التوصل إلى محاولة لعرض فهمنا **للصورة البلاغيّة:** على أنها: تعبيرُ الشاعرِ عن أفكاره وعواطفِه وتجربته بألفاظٍ وتراكيب مُسْتَعْملاً لغةً فنيّة موحية استعمالاً مجازيّاً من تشبيه أو استعارة أو كناية، يكون الخيالُ أو العَالَم الخارجيُّ أهمُّ عناصرها بإظهار المعنى مجسّماً ممثّلاً، بغية التأثير في المتلقّي وإمتاعه وإقناعه لإحداث الدهشة والانفعال.

أمّا سببُ تسميته بهذا المصطلح بالصورة البلاغية؛ لأنَّ« الصور تختلف في تأثيرها على النفس، سواء في ذلك الصور الكلاميَّة أم الصور الحسِّيَّة، فهناك الصورة التي تروقك وتعجبك، وهناك الصورة التي تُستكرَه وتُستبشَع، ولكنَّ ثالثة

تصل إلى أعماق نفسك، بل تهزُّ هذه النفس هزَّة طرب وتقدير، فبقدر ما يبدع المصوِّر في تحسين صورته، يكون لها من التأثير في نفوس الآخرين»[44], وينظر علماء البلاغة منذ الإمام عبد القاهر وحتى العصر الحديث إلى الصورة البلاغيّة على أنَّها مكوِّنٌ من مكونات النظم، تتفاعل مع عناصر النصِّ ومكوناته[45], فالصورة تتفاعل مع «مجموعة من العلاقات المتداخلة والمتكاملة لطاقات اللغة وإمكاناتها من دلالة, وتركيب, وإيقاع وحقيقة, وصور مجازية، وترادف وتضاد .... وغيرها من وسائل التعبير الفني, يمزج بينها الشاعر؛ لتخرج معانيه على درجة من الإبداع»[46], والصورة البلاغية لا تنقل الواقع نقلًا وإنمَّا هي «إعادة تشكيل الواقع ونقله بطريقة إبداعية يسهم فيها الخيال، بحيث لا يُنقل الواقع أو ينُسخ، واكتشاف العلاقات الكامنة بين الظواهر والجمع بين العناصر المتضادَّة أو المتباعدة في وحدة »[47], وليس هذا الكلام بجديد، وإنما هو ترديد وإعادة صياغة لفكر الإمام عبد القاهر, فالإمام عبد القاهر عندما يتحدَّث عن بلاغة التشبيهات وجمالها[48],إذْ يقول:«وهكذا إذا استقريت التَّشبيهات، وجدت التباعد بين الشيئين كلما كان أشد، كانت إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب،.... وذلك أنّ موضع الاستحسان....أنّك ترى بها الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفَين مختلفَين، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض»[49], وأشار عبد القاهر أيضاً إلى كون الصورة البلاغية متفاعلة متداخلة مع النظم، إذْ يقول: «إن في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم، والوقوف على حقيقته»[50], فتصوير أيُّ معنى يعني صياغته وتشكيله على هيْئة مُعيّنة, وهذا المعنى ورد كثيراً عند عبدالقاهر, ولا سيما أنّ القضية الأساسية التي يعالجها هي قضية النظم.[51]

الهوامش:

---

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة, أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا,تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون, الناشر: اتحاد الكتاب العرب, 2000م, الجزء:3/319-320, مادة(صور).

(2) ينظر: المُحْكم والمحيط الأعظم, أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي, تحقيق: عبدالحميد هنداوي, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2000م, الجزء:369/8.

(3) ينظر: لسان العرب, محمد بن مُكرم بن منظور الأفريقي المصري, دار صادر, بيروت, ط1, د/ت, مادة(صور).

(4) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس, محمد بن عبدالرّزاق الحسيني, المُلقّب بمرتضى الزّبيدي, تحقيق: عبدالستار فراج ومجموعة من اللغويين, دار الهداية, الكويت, ط2, 1965م, باب (الراء).

(5) ينظر: المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار, تحقيق: مجمع اللغة العربية, دار الدعوة, مصر, الطبعة الرابعة, 2004, الجزء:528/1, باب(الصاد).

(6) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن, أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري, تحقيق أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط1، 2000م, الجزء:410/21, والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, مذيل بحاشية الإمام العلامة أحمد بن محمد، المعروف بابن المنير وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي, دار الكتاب العربي–بيروت, سنة الطبع:1407هـ, الجزء:546/4, وتفسير التحرير والتنوير,(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر ابن عاشور التونسي, الدار التونسية للنشر– تونس, ط:1, 1984, الجزء:191/24.

(7) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر, أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري, تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية, بيروت, ط1, 1979م, الجزء: 58/3.

(8) مسند الإمام أحمد بن حنبل, أحمد بن حنبل , مؤسسة قرطبة – القاهرة, د/ط, د/ت, الجزء:344/8, رقم الحديث:3484.

(9) الحيوان, أبو عثمان الجاحظ, تحقيق عبدالسلام هارون, مطبعة مصطفى البابي الحلبي, مصر, ط2, 1386, ج:132/3.

(10) ينظر: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث, بشرى موسى صالح, المركز

الثقافي العربي, بيروت, ط1, 1994م,ص21.

(11) نقد الشعر, لأبي الفرج قدامة بن جعفر, تحقيق: عبدالمنعم خفاجي, دار الكتب العلمية, بيروت, د/ط, ص53.

(12) إعجاز القرآن, أبو بكر محمد بن الطيب الباقلّاني, تحقيق: السيد احمد صقر, دار المعارف, مصر, الطبعة الخامسة, 1997م, ص244.

(13) دلائل الإعجاز, عبدالقاهر الجرجاني, قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر, مطبعة المدني, القاهرة,ط1, 1991م,ص508.

(14) دلائل الإعجاز, ص196-197.

(15) ينظر: الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني, د. أحمد علي دهمان, منشورات وزارة الثقافة, دمشق, ط2, 2000م, ص183-184.

(16) ينظر: الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني(منهجاً وتطبيقاً), ص188

(17) ينظر: التعريفات, علي الجرجاني, تحقيق: إبراهيم الأبياري, دار الكتاب العربي, بيروت, ط1405،1هـ, ص83, باب(التاء).

(18) بناء الصورة الفنيّة في البيان العربي, ص41.

(19) التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية, د. شفيع السيد, دار الفكر العربي, القاهرة, ط ثانية, 1982م, ص139.

(20) الصورة الأدبية, مصطفى ناصف, دار مصر للطباعة, القاهرة ط1, 1958م, ص3.

(21) النقد الأدبي, داؤد سلّوم, مطبعة الزهراء, بغداد, ط1, 1967م, ص81.

(22) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب, د. جابر عصفور, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط3, 1992م, ص323.

(23) الصورة الفنيّة في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق, عبدالقادر الرباعي, دار جرير, الأردن, ط1, 2009م, ص85.

(24) ينظر: الصورة الفنيّة في النقد الشعري, ص88.

(25) البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر, د. علي علي صبح, المكتبة الأزهرية للتراث, د/ط, 1996م, ص11.

(26) التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية, شفيع السيّد, ص32.

(27) بناء الصورة الفنيّة في البيان العربي, ص267.

(28) التصوير بالحقيقة في القرآن الكريم, نورة بنت جايز بن سعود الشريف,(رسالة ماجستير), إشراف: د. إبراهيم بن عبدالعزيز الزيد, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, المملكة العربية السعودية, للعام:1434هـ,ص14.

(29) الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني, ص143.

(30) الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني, ص142.

(31) النقد التطبيقي والموازنات, محمد الصادق عفيفي, د/ط, 1978م, ص142.

(32) الصورة النفسية في القرآن الكريم, محمود سليم هياجنة, عالم الكتب الحديث, ط1,عمّان–الأردن– 2008م, ص2

(33) الصورة البلاغية عند عبدالقاهر الجرجاني, ص143.

(34) ينظر: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطوّرها, د. علي البطل, دار الأندلس, بيروت, الطبعة الثانية, 1981م, ص15.

(35) دلائل الإعجاز, ص197.

(36) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن الأثير الموصلي(ت637هـ), تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد, المكتبة العصرية, بيروت، ط1, 1995م, الجزء:1/78.

(37) مداخل إلى علم الجمال الأدبي, د. عبد المنعم تليّمة, دار الثقافة, مصر,ط1, 1982م, ص11.

(38) الصورة الجمالية بين القدماء والمعاصرين, د عبد الحليم محمد شادي, مطبعة السعادة– ط1, 1991م, ص23–24

(39) معجم مصطلحات النقد العربي القديم, د. أحمد مطلوب, مكتبة لبنان ناشرون, بيروت, ط1, 2001م, ص163.

(40) التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان, د. محمد أبو موسى, مكتبة وهبة, القاهرة, ط3, 1993م, ص7.

(41) التصوير الجمالي في القرآن الكريم, عيد سعيد يونس, عالم الكتب, القاهرة– مصر– ط1, 2006م, ص123.

(42) ينظر: نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة, د. حسين علي الصغير, دار المؤرّخ العربي, بيروت, ط1, 1999م, ص22.

(43) نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة, ص23.

(44) البلاغة فنونها وأفنانها (البيان والبديع), د. فضل حسن عباس, دار الفرقان, عمّان, ط8,1423هـ,ص 13 .

(45) ينظر: التصوير البياني عند شعراء الرسولﷺ, طاهر عبدالمنعم علي,(ماجستير), إشراف: د. حسن مخيمر, جامعة الأزهر, د/ت, ص30.

(46) دفاع عن البلاغة, أ. أحمد حسن الزيات, مطبعة الرسالة, ط1, 1945م, ص62.

(47) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي, جابر عصفور, ص 373 .

(48) ينظر التصوير البياني عند شعراء الرسولﷺ, ص32.

(49) أسرار البلاغة, عبدالقاهر الجرجاني, تحقيق: محمود محمد شاكر, دار المدني, جدة, ط1, 1991م, ص130.

(50) دلائل الإعجاز, ص 100 .

(51) ينظر: الصورة بين القدماء والمعاصرين, د. محمد عبدالعزيز شادي, مطبعة السعادة, القاهرة, ط1, 1999م, ص23-24.

المصادر والمراجع:

1-أسرار البلاغة, عبدالقاهر الجرجاني, تحقيق: محمود محمد شاكر, دار المدني, جدة, ط1, 1991م.

2-إعجاز القرآن, أبو بكر محمد بن الطيب الباقلّاني, تحقيق: السيد احمد صقر, دار المعارف, مصر, الطبعة الخامسة, 1997م.

3-البلاغة فنونها وأفنانها (البيان والبديع), د. فضل حسن عباس, دار الفرقان, عمّان, ط8،1423.

4-البناء الفني للصورة الأدبية في الشعر, د. علي علي صبح, المكتبة الأزهرية للتراث, د/ط, 1996م.

5-تاج العروس من جواهر القاموس, محمد بن عبدالرّزاق الحسيني, المُلقّب بمرتضى الزّبيدي, تحقيق: عبدالستار فراج ومجموعة من اللغويين, دار الهداية, الكويت, ط2,

1965م.
6-التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان, د. محمد أبو موسى, مكتبة وهبة, القاهرة, ط3, 1993م.
7-التصوير البياني عند شعراء الرسول, طاهر عبدالمنعم علي,(ماجستير), إشراف: د. حسن مخيمر, جامعة الأزهر, د/ت.
8-التصوير الجمالي في القرآن الكريم, عيد سعيد يونس, عالم الكتب, القاهرة- مصر- ط1, 2006م.
9-التصوير بالحقيقة في القرآن الكريم, نورة بنت جايز بن سعود الشريف,(رسالة ماجستير), إشراف: د. إبراهيم بن عبدالعزيز الزيد, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية, المملكة العربية السعودية, للعام:1434هـ.
10-التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية, د. شفيع السيد, دار الفكر العربي, القاهرة, ط ثانية, 1982م.
11-التعريفات, علي الجرجاني, تحقيق: إبراهيم الأبياري, دار الكتاب العربي, بيروت, ط1405،1هـ.
12-تفسير التحرير والتنوير,(تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر ابن عاشور التونسي, الدار التونسية للنشر- تونس, ط:1, 1984.
13-جامع البيان في تأويل القرآن, أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري, تحقيق أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة, بيروت, ط1، 2000م.
14-الحيوان, أبو عثمان الجاحظ, تحقيق عبدالسلام هارون, مطبعة مصطفى البابي الحلبي, مصر, ط2, 1386هـ.
15-دفاع عن البلاغة, أحمد حسن الزيات, مطبعة الرسالة, ط1, 1945م.
16-دلائل الإعجاز, عبد القاهر الجرجاني, قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر, مطبعة المدني, القاهرة,ط1, 1991م.
17-الصورة الأدبية, مصطفى ناصف, دار مصر للطباعة, القاهرة ط1, 1958م.
18-الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني, د. أحمد علي دهمان, منشورات وزارة الثقافة, دمشق, ط2, 2000م.

19-الصورة الجمالية بين القدماء والمعاصرين, د عبد الحليم محمد شادي, مطبعة السعادة- ط1, 1991م.

20-الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث, بشرى موسى صالح, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط1, 1994م.

21-الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب, د. جابر عصفور, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط3, 1992م.

22-الصورة الفنيّة في النقد الشعري دراسة في النظرية والتطبيق, عبدالقادر الرباعي, دار جرير, الأردن, ط1, 2009م.

23-الصورة النفسية في القرآن الكريم, محمود سليم هياجنة, عالم الكتب الحديث, ط1,عمّان-الأردن- 2008م.

24-الصورة بين القدماء والمعاصرين, د. محمد عبدالعزيز شادي, مطبعة السعادة, القاهرة, ط1, 1999م.

25-الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطوّرها, د. علي البطل, دار الأندلس, بيروت, الطبعة الثانية, 1981م.

26-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري, مذيل بحاشية الإمام العلامة أحمد بن محمد، المعروف بابن المنير وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي, دار الكتاب العربي- بيروت, سنة الطبع:1407هـ.

27-لسان العرب, محمد بن مُكرم بن منظور الأفريقي المصري, دار صادر, بيروت, ط1, د/ت.

28-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن الأثير الموصلي(ت637هـ), تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد, المكتبة العصرية, بيروت، ط1, 1995م.

29-المُحْكم والمحيط الأعظم, أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي, تحقيق: عبدالحميد هنداوي, دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2000م.

30-المداخل إلى علم الجمال الأدبي, د. عبد المنعم تليّمة, دار الثقافة, مصر,ط1, 1982م.

31–مسند الإمام أحمد بن حنبل, أحمد بن حنبل , مؤسسة قرطبة – القاهرة, د/ط, د/ت.
32–المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار, تحقيق: مجمع اللغة العربية, دار الدعوة, مصر , الطبعة الرابعة, 2004.
33–معجم مصطلحات النقد العربي القديم, د. أحمد مطلوب, مكتبة لبنان ناشرون, بيروت, ط1, 2001م.
34–معجم مقاييس اللغة, أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا, تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون, الناشر: اتحاد الكتاب العرب, 2000م.
35–نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة, د. حسين علي الصغير, دار المؤرّخ العربي, بيروت, ط1, 1999م.
36–النقد الأدبي, داوُد سلّوم, مطبعة الزهراء, بغداد, ط1, 1967م.
37–النقد التطبيقي والموازنات, محمد الصادق عفيفي, د/ط, 1978م, ص142.
38–نقد الشعر, لأبي الفرج قدامة بن جعفر, تحقيق: عبدالمنعم خفاجي, دار الكتب العلمية, بيروت, د/ط.
39–النهاية في غريب الحديث والأثر, أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري, تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي, المكتبة العلمية, بيروت, ط1, 1979م.